الفصل الثانی

فَاذکرونی أذکُرْکم

فاذكرونى أذكركم

أخرج الإمام البخارى – رضى الله عنه – من حديث قتادة ، عن رسول الله ﷺ ، فيما يرويه عن ربه – قال : قال الله عز وجل :

«يابن آدم ، إن ذكرتنى فى نفسك ذكرتك فى نفسى ، وإن ذكرتنى فى ملإ ذكرتك فى ملإ خير منه ، وإن دنوت منى شبراً دنوت منك ذراعاً ، وإن دنوت منى ذراعاً دنوت منك باعاً ، وإن أتيتنى تمشى أتيتك هرولة» .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه – فيما رواه الإمام أحمد وغير واحد من أصحاب الصحاح – قال رسول الله ﷺ : يقول الله تعالى :

«أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملإ ذكرته فى ملإ خير منهم ، وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة» .

وزاد الإمام أحمد فى آخره :

قال قتادة : والله أسرع بالمغفرة .

وروى الطبرى بإسناد حسن ، أن رسول الله ﷺ قال : قال الله جل ذكره :

لايذكرنى عبد فى نفسه إلا ذكرته فى ملإ من ملائكتى ، ولايذكرنى فى ملإ إلا ذكرته فى الملإ الأعلى ..

فاذكرونى أذكركم :

معنى «اذكرونى» : تذللوا لجلالى .

أذكركم : أكشف الحجب عنكم ، وأفيض عليكم رحمتى وإحسانى ، وأحبكم ، وأرفع ذكركم فى الملإ الأعلى ..

لما فى الحديث :

«من تقرب إلىّ شبراً تقربت منه ذراعاً»[1]

وفى الحديث أيضاً :

«إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل فقال له : ياجبريل : إنى أحب فلاناً فأحبه ، فيحبه جبريل .. ثم ينادى فى السماء : إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض»[2]

وهذا من جملة الثمرات المعجلة ..

وأما المؤجلة فرؤية وجه ربه الكريم ، ورفع الدرجات ، وغير ذلك [3]

---

(١) البخارى .

(٢) مسلم عن أبى هريرة .

(٣) حاشية الصاوى على الجلالين .

فاذكروني أذكركم :

ولقد حث الله سبحانه وتعالى على الذكر . قال سبحانه :

﴿واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولاتكن من الغافلين﴾ .

وحث الله سبحانه وتعالى على الذكر الكثير فقال آمراً :

﴿يأيها الذين آمنو اذكروا الله ذكراً كثيراً ، وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ .

ووصف الله سبحانه وتعالى أصحاب العقول المستنيرة إلى رضى عنها لأنها اهتدت بهديه فقال سبحانه مادحاً إياهم :

﴿إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب .

الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار .

ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته ومالظالمين من أنصار ، ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار .

ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ولاتخزنا يوم القيامة إنك لاتخلف الميعاد﴾ .

ويصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين الصادقين بصفات يرضى عنها

اختتمها بقوله :

﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾

والأمر بالذكر كثير فى القرآن الكريم ، من ذلك قوله تعالى :

﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية :

« أى بالليل والنهار ، فى البر والبحر ، والسفر والحضر ، والغنى والفقر ، والمرض والصحة ، والسر والعلانية » ..

ويقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ولذكر الله أكبر﴾

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما عن هذه الكلمة القرآنية الكريمة :

إن لها وجهين :

أحدهما : أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه

والآخر : أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه .

والواقع :

أن الإنسان إذا تدبر الآيات القرآنية الواردة فى الذكر فإنه يجدها تستغرق الأوقات والحالات .

فأينما كان الإنسان وكيفما كان عليه دائماً أن يكون ذاكراً لله سبحانه وتعالى .

ولايشغل ذكر الله سبحانه وتعالى الإنسان عن عمله . ولقد كان الكثير من كبار الصحابة من كبار التجار ولم يمنعهم ذلك عن أن يكونوا من كبار الذاكرين .

ولقد كان الكثير من كبار الذاكرين أصحاب حرف ومهن ..

لقد كان منهم : «الخوَّاص» ، «والخزَّاز» ، و «الصبَّاغ» «والحصرى» ، و «الصيرفى» ، «والقفَّال» ، «والحصَّاد» ، «والحراس» ، و «الفراء» ، و «المقرئ» . فضلا عن اشتغالهم الذى لايفتر بتعليم المسلمين وهدايتهم .

فاذكرونى أذكركم :

فضل الذكر :

ولقد تحدث رسول الله ﷺ كثيراً عن الذكر حاثًّا ومادحاً وآمراً :

عن أبى هريرة رضى الله عنه – فيما رواه الإمام مسلم – قال :

كان رسول الله ﷺ يسير فى طريق مكة ، فمر على جبل يقال له «جمدان» فقال :

سيروا : هذا جمدان سبق المفردون

قالوا : وما المفردون يارسول الله ؟

قال : الذاكرون الله كثيراً .

وذكر هذا الحديث الترمذى وفيه :

يارسول الله : وما المفردون ؟

قال : المستهترون بذكر الله ، يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون الله يوم القيامة خفافاً .

وكلمة « المفردون » – كما يذكر صاحب كتاب الترغيب والترهيب – بفتح الفاء وكسر الراء .

« والمستهترون » – بفتح التاءين – هم المولعون بالذكر ، المداومون عليه ، لايبالون ماقيل فيهم ، ولا مافعل بهم[1] .

وعن أبي موسى رضى الله عنه – فيما رواه البخارى – قال : قال رسول الله ﷺ :

« مثل الذى يذكر الله ربه والذى لايذكر الله ، مثل الحى والميت »

وعن عبد الله بن بسر رضى الله عنه – فيما رواه الحاكم بإسناد صحيح – أن رجلا قال :

يارسول الله : إن شرائع الإسلام قد كثرت على فأخبرنى بشيء أتشبث به . قال :

« لايزال لسانك رطباً من ذكر الله » .

ويحدث الصحابى الجليل معاذ بن جبل رضى الله عنه فيقول فيما رواه الطبرانى وغيره :

---

(١) الترغيب والترهيب .

«إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله ﷺ أن قلت :
أى الأعمال أحب إلى الله ؟
قال :
«أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله» .
ومن أجمل الوصايا التى أوصى بها رسول الله ﷺ وأنفسها — ووصاياه صلوات الله وسلامه عليه كلها جميلة نفيسة — وصيته لأم أنس[1] ، حينما قالت له :
«يارسول الله .. أوصنى» ..
قال :
«اهجرى المعاصى ، فإنها أفضل الهجرة ، وحافظى على الفرائض فإنها أفضل الجهاد ، وأكثرى من ذكر الله ، فإنك لاتأتين بشىء أحب إليه من كثرة ذكره» .
وإن من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لاظل إلا ظله .
«رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من خشية الله» .
وروى البيهقى فى الشعب من حديث عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال : قال الله عز وجل :
«من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين» .
قال الإمام الصاوى :

---

(١) قال الطبرانى : أم أنس هذه ليست أم أنس بن مالك .

« وينبغى للإنسان أن يذكر الله كثيراً .. لقوله تعالى :

﴿ والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً ﴾

ولايلتفت لواش ولارقيب ، لقول السيد الحفنى ، خطاباً للعارف بالله تعالى أستاذنا الدردير :

يا مبتغى طرق أهـــــل الله والتسليك
دع عنك أهل الهوى تسلم من التشكيك
إن « اذكرونى » لرد المعترض يكفيــك
فاجعل سلاف الجلالــة دائما فى فيك

فاذكرونى أذكركم

الاجماع على الذكر :

روى الإمام مسلم ، رضى الله عنه ، عن معاوية رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال :

ما أجلسكم ؟

قالوا :

جلسنا نذكر الله ونحمده على ماهدانا للإسلام ومن به علينا

قال : آلله ماأجلسكم إلا ذلك ؟

قالوا : آلله ماأجلسنا إلا ذلك .

قال : أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله عز وجل يباهى بكم الملائكة .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه – فيما رواه الترمذى وحسنه – أن رسول الله ﷺ قال :

« إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » .. قالوا :

ومارياض الجنة ؟

قال : حلق الذكر .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق – يلتمسون أهل الذكر – فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا .

« هلموا إلى حاجتكم » فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا .

قال : فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم . . . مايقول عبادى ؟

قال : يقولون : يسبحونك ويكبرونك ، ويحمدونك ويمجدونك .

قال : فيقول : هل رأونى ؟

قال : فيقولون : لا والله يارب مارأوك .

قال : فيقول : كيف لورأونى ؟

قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيداً ، وأكثر لك تسبيحاً .

قال : فيقول : فما يسألونى ؟

قال : يقولون : يسألونك الجنة .

قال : فيقول : وهل رأوها ؟

قال : يقولون : لا والله يارب مارأوها .

قال : فيقول : فكيف بهم لو رأوها ؟

قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً ، وأعظم فيها رغبة .

قال : فم يتعوذون ؟

قال : يقولون : يتعوذون من النار .

قال : فيقول : وهل رأوها ؟

قال : يقولون : لا والله مارأوها .

قال : فيقول : فكيف لورأوها ؟

قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فراراً ، وأشد لها مخافة .

قال : فيقول : أشهدكم أنى قد غفرت لهم .

قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة .

قال : هم القوم لايشقى بهم جليسهم[1] .

وفى رواية مسلم : فيقول :

«وله غفرت ، هم القوم لايشقى بهم جليسهم» .

---

(١) البخارى .

وعن أبي الدرداء ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« ليبعثن الله أقواماً يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ ، تغبطهم الناس ، ليسوا بأنبياء ولاشهداء .

قال : فجثا أعرابي على ركبتيه فقال :

يارسول الله : صفهم لنا نعرفهم .

قال : هم المتحابون في سبيل الله ، من قبائل شتى ، وبلاد شتى ، يجتمعون على ذكر الله يذكرون »[1] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال :

« مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل ، لايريدون بذلك إلا وجهه ، إلا ناداهم مناد من السماء ، أن قوموا مغفوراً لكم ، قد بدلت سيئاتكم حسنات »[2].

وعن أبي هريرة ، وأبي سعيد رضي الله عنهما ، أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال :

« لايقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده »[3].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال :

قلت : يارسول الله ، ماغنيمة مجالس الذكر؟

(١) رواه الطبراني بإسناد حسن .

(٢) رواه أحمد .

(٣) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه .

قال : غنيمة مجالس الذكر الجنة[1].

ويقول الإمام النووى :

«اعلم أنه كما يستحب الذكر يستحب الجلوس فى حلق أهله». وقد تظاهرت الأدلة على ذلك ، وسنرد فى مواضيعها إن شاء الله ، ويكفى فى ذلك حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله ﷺ :

«إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا»، قالوا : وما رياض الجنة يا رسول الله ؟ . .

قال : «حلق الذكر» ، فإن لله تعالى سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر ، فإذا أتوا عليهم حفوا بهم» . .

روينا فى صحيح مسلم عن معاوية رضى الله عنه أنه قال :

«خرج رسول الله ﷺ على حلقة من أصحابه» ،

فقال :

ما أجلسكم ؟

قالوا :

جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومَنّ به علينا .

قال :

---

(١) رواه أحمد بإسناد حسن .

آلله . . . ما أجلسكم إلا ذاك ؟ أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله تعالى يباهى بكم الملائكة » . . .

وفى صحيح مسلم أيضا عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى : إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » . .

وقال الإمام الصاوى :

« وهل الأفضل الذكر مع الناس ، أو الذكر فى خلوة ؟ » . . .

والحق التفصيل : وهو :

إن كان الإنسان ينشط وحده ، ولم يكن مدعوًّا من الله لهداية الناس فالخلوة فى حقه أفضل ، وإلا فذكره مع الناس أفضل :

إما لينشط ، أو لتقتدى الناس به .

نسأل الله أن يجعلنا من أهل ذكره [1] .

فاذكرونى أذكركم :

أنواع الذكر :

ومن المعروف أن الذكر على ضربين :

ذكر اللسان .

---

(١) حاشية الصاوى ، جـ ١ ، ص ٦٣ .

وذكر القلب .

فذكر اللسان : به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب .

والتأثير لذكر القلب .

يقول الإمام القشيرى :

« فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه ، فهو الكامل فى وصفه فى حال سلوكه » .

ويقول الإمام الصاوى :

« ولا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه ، فربما ذكر مع غفلة يجر لذكر مع حضور ، لأنهم شبهوا الذكر بقدح الزناد ، فلا يترك الإنسان القدح لعدم إيقاده من أول مرة مثلا ، بل يكرر حتى يوقد ، فإذا ولع القلب نارت الأعضاء فلا يقدر الشيطان على وسوسته ، لقوله تعالى :

﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا﴾ [1] .

وخفت العبادة على الأعضاء ، فلا يكون على الشخص كلفة فيها . . . قال العارف :

إذا رفع الحجاب فلا ملاله بتوفيق الإله ولا مشقه

ويكفى الذاكر من الشرف ، قول الله تعالى فى الحديث القدسى :

---

(١) الأعراف آية : ٢٠١ .

«أنا جليس من ذكرنى» [1] وقوله تعالى :

﴿ واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ [2] .

ويقول الإمام النووى :

الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان .

والأفضل منه ماكان بالقلب واللسان جميعاً . فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل . ثم لا ينبغى أن يترك الذكر باللسان مع القلب خوفاً من أن يظن به الرياء ، بل يذكر بهما جميعاً ويقصد وجه الله تعالى . وقد قدمنا عن الفضيل رحمه الله :

«إن ترك العمل لأجل الناس رياء» .

ولو فتح الإنسان عليه باب ملاحظة الناس ، والاحتراز من تطرق ظنونهم الباطلة ، لا نسد عليه أكثر أبواب الخير ، وضيع على نفسه شيئاً عظيماً من مهمات الدين ، وليس هذا طريقة العارفين .

فاذكرونى أذكركم :

أوقات الذكر :

وليس للذكر وقت معين .

وذلك أن جميع الأوقات صالحة للذكر . يقول تعالى :

---

(١) الحاكم بمعناه ، بسند صحيح وروى أحمد وابن ماجه بسند صحيح ، أنا مع عبدى ما ذكرنى ... إلخ .

(٢) حاشية الصاوى على الجلالين ، جـ ١ ص ٦٣

﴿ وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة (يخلف كل واحد الآخر) لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ﴾ .

لقد جعل الله سبحانه جميع آناء الليل والنهار صالحة للذكر :

يقول ابن عباس فى قوله تعالى :

﴿ فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ﴾ .

يقول : أى بالليل والنهار ، فى البر والبحر ، والسفر والحضر ، والغنى والفقر ، والمرض والصحة ، والسر والعلانية .

والآيات فى القرآن كثيرة تبين أن ذكر الله مستحب فى جميع الأمكنة والأزمنة .

ويقول صاحب الرسالة القشيرية فى ذلك :

« ومن خصائص الذكر : أنه غير مؤقت ، بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله ، إما فرضاً ، وإما ندباً ، والصلاة وإن كانت أشرف العبادات فقد لا تجوز فى بعض الأوقات . والذكر بالقلب مستدام فى عموم الحالات » .

قال الله تعالى :

﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك ، فقنا عذاب النار ﴾ .

كل هذا أدى بالإمام القشيرى إلى أن يقول معبراً عن الجو الصادق :

«والذكر ركن قوى فى طريق الحق سبحانه وتعالى ، بل هو العمدة فى هذا الطريق ، ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر» . .